تحليل الظواهر الصوتية
في
قراءة يعقوب الحضرمي

د. سمير شريف إستيتية

جامعة اليرموك

الفصل الأول
يعقوب الحضرمي، حياته، ودرايته، وقراءته

المطلب الأول: حياته ودرايته

هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة في القراءة، بعد شيخها وإمامها أبي عمرو ابن العلاء[1]. ولد يعقوب سنة سبع عشرة ومائة، ونشأ في بيت علم وصلاح، فكان أبوه من رجال النحو والقراءة واللغة، وكان جده وأبو جده كذلك. وأبو جده هو عبدالله اللغوي النحوي الناقد الذي كان معاصراً للفرزدق[2]، وكان له مع الفرزدق مواقف يتتبع فيها ما يراه من سقطات في شعره، وكان الفرزدق يأخذ برأيه أحياناً، ويحتدّ أحياناً أخرى.

تلقى يعقوب العلم على يدي أبيه وجده، وأخذ القراء عرضاً أو سماعاً عن بعض أئمة القراءة، ومنهم بعض القراء السبعة، فقد سمع الحروف من الكسائي[3]، وروي أنه قرأ على أبي عمرو بن العلاء، وسمع من حمزة[4] حروفاً، وسمع الحروف أيضاً من

---

(١) أبو عمرو زبان بن العلاء أحد القراء السبعة، وأحد أئمة اللغة والأدب، ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة، قرأ على الحسن البصري، وسمع أنس بن مالك، توفي سنة ١٥٥ هـ. (غاية النهاية: ٢٨٨/١).

(٢) همام بن غالب التميمي الملقب بالفرزدق، أحد شعراء النقائض في عصر بني أمية، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ. (وفيات الأعيان: ٨٦/٦- ١٠٠).

(٣) علي بن حمزة الكسائي، أحد القراء السبعة، وإمام القراءة في الكوفة بعد حمزة شيخه. أخذ عن حمزة وأبي بكر ابن عياش والمفضل الضبي، توفي سنة ١٨٩هـ. (غاية النهاية: ٥٣٥/١- ٥٤٠).

(٤) حمزة بن حبيب الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٨٠ هـ. أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش، وإليه صارت الإمامة بعد عاصم. توفي سنة ١٥٦هـ. (غاية النهاية: ٢٦١/١).

محمد بن زريق الكوفي[٥] عن عاصم[٦]. وقد كان يعقوب ثقة، عدلاً، ضبطاً، صدوقاً، سئل عنه أحمد بن حنبل[٧] فقال: "صدوق". وقد وصفه بعض أئمة الحديث بأنه: "من أهل بيت العلم بالقرآن والعربية، وكلام العرب، والرواية الكثيرة، والحروف، والفقه، وكان أقرأ القراء، وكان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف، والاختلاف في القرآن، وتعليله، ومذاهب أهل النحو في القرآن، وأروى الناس لحروف القرآن، وحديث الفقهاء[٨].

مات – رحمه الله- سنة خمسين ومائتين، وله ثمان وثمانون سنة.

المطلب الثاني: قراءته

قراءة يعقوب من القراءات العشر المتواترة. وقد أخطأ من جعل قراءة يعقوب من القراءات الشاذة، قال ابن الجزري[٩]: "قلت: ومن أعجب، بل من أكبر الخطأ، جعل قراءة يعقوب من الشواذ الذي لا تجوز القراءة به ولا الصلاة، وهذا شيء لا نعرفه قبل، إلا في هذا الزمان، ممن لا يعول على قوله، ولا يلتفت إلى اختياره ... فليعلم أنه لا فرق بين قراءة يعقوب وقراءة غيره من السبعة عن أئمة الدين المحققين"[١٠].

---

(٥) محمد بن زريق الكوفي، روى الحروف عن عاصم وعن الكسائي، وروى عنه الحروف يعقوب. (غاية النهاية: ١٤١/٢).

(٦) عاصم بن بهدلة بين أبي النجود، إمام الكوفة وأحد القراء السبعة. انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبدالرحمن السلمي، جمع بين الفصاحة والإتقان والتجويد. توفي سنة ١٢٧هـ. (غاية النهاية: ٣٤٦/١).

(٧) أبو عبدالله أحمد بن حنبل، أحد أعلام الإسلام والفقهاء المجتهدين. ولد سنة ١٦٤هـ. روى عنه البخاري ومسلم، وله كتاب المسند. تعرض للفتنة أيام المأمون فما ضعف ولا استكان، توفي سنة ٢٤١هـ. (تذكرة الحفاظ: ٤٣١/١).

(٨) محمد بن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج برجستراسر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠)، ج٢، ص٣٨٩.

(٩) محمد بن الجزري، أحد أئمة القراءات المشهورين، له فيها مصنفات كثيرة، ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ، وتلقى العلم على أكابر شيوخ عصره، ولي قضاء الشام، وتوفي سنة ٨٣٣هـ.

(١٠) ابن الجزري. غاية النهاية: ٣٨٨/٢.

وليعقوب الحضرمي راويان هما:

١- رُوَيْس: هو أبو عبدالله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، أحد المقرئين البصريين، ومن أئمتها الأعلام المتميزين. وقد وصف بأنه أحذق أصحاب يعقوب الحضرمي[١١]. توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

٢- رَوْح: هو أبو الحسن روح بن عبدالمؤمن الهذلي من نحاة البصرة وقرائها الحذاق. روى عنه البخاري[١٢] في صحيحه، عرض على يعقوب الحضرمي. وهو من أجل أصحابه. توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين، أو خمس وثلاثين ومائتين.

---

(١١) المرجع السابق: ٢/٢٣٤.

(١٢) شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح والتاريخ الكبير والتصانيف الأخرى الكثيرة، ولد سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ. (تذكرة الحفاظ: ٢/٥٥٦).

الفصل الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة يعقوب

تمتاز قراءة يعقوب بظهور تغيرات سياقية في الأصوات، بمعنى أن الصوت يتخذ صوراً أدائية متباينة بتباين السياقات التي يرد فيها هذا الصوت. وقد يتخذ صوت ما صورة معينة ينفرد بها أداؤه في قراءة يعقوب من بين سائر القراءات. ولما كانت هذه الصور والأداءات متعددة، فإننا سنجمعها في الأطر الآتية، وسيكون لكل إطار قواعده:

١. المماثلة بين الصوائت.

٢. المماثلة بين الصوامت.

٣. تغيرات البنية المقطعية.

وفيما يلي بيان لهذه الظواهر في قراءة يعقوب:

المطلب الأول: المماثلة في الصوائت

القاعدة الأولى:

تتغير حركة ضمير التثنية والجمع (هما، وهم وهن) في سياق التماثل. وعدم تغيرها هو الأصل.

التوضيح: في قراءة يعقوب مسلك تتميز به عن سائر القراءات العشر، ذلك أن ضمير الغيبة المثنى، وضمير غيبة الجمع "مذكراً ومؤنثاً" يعاملان على النحو الآتي:

١- إذا كان هذان الضميران مسبوقين بياء مدّ، كما في: يزكّي، ويمنّي، ويهدي، ويري، وفي، وأيدي، فإن هاء الضمير تبقى مضمومة ولا تكسر؛ ولذلك فقد قرأ يعقوب بضم الهاء في: "يزكيهُم" و"يمنّيهُم"، و"يهديهُم" و"يريهُم" و"فيهُم" و"أيديهُم"(١٣).

---

(١٣) محمد المحيسن. المهذب في القراءات العشر. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨، ص١٢، ١٧٠، ١٨٩، ١٩١، وانظر كذلك: طاهر بن غلبون. التذكرة في القراءات. تحقيق د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم، (القاهرة: دار الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٠، ص ٨٦، ٨٧.

وهذا الذي نجده في هذه الظواهر ليس قائماً على أساس المخالفة بين المدّ وضم الهاء، وإنما هو الأصل الذي تم على أساس التحاق الكلمة بالضمير دون تغيير، وهكذا:

يزكي + هُم ← يزكيهُم

وفي قراءات أخرى تكسر الهاء بدلاً من الضم الذي هو الأصل، أي أن التغيير يتم على أساس المماثلة بين ياء المد وكسرة الهاء. وهذه المماثلة هي التي اختارتها معظم القراءات، واختارت خلافها قراءة يعقوب، وذلك بالإبقاء على الأصل.

والإبقاء على الأصل قائم على أساس التمازج والتماثل والتداخل بين حجرة الرنين التي لياء المد، وتلك التي للضمة. أما حجرة الرنين التي للياء فهي كما هو ظاهر في الشكل (١).

وأما حجرة الرنين التي للضمة فهي مكونة من حجرة حلقية ضيقة أمامية واسعة، كما هو مبين في الشكل (٢).

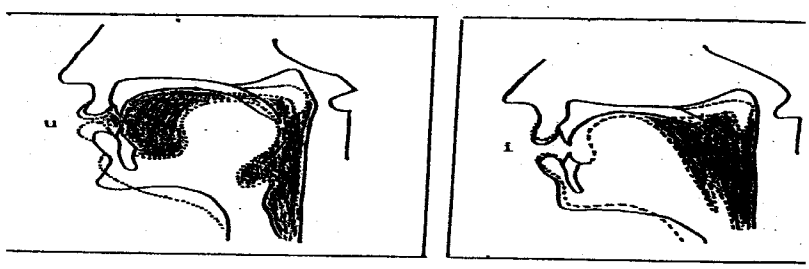

الشكل (١)　　الشكل (٢)

أما تحويل ضمة الهاء إلى كسرة، من أجل إحداث مماثلة بينها وبين الياء، فيعني أن حجرة الرنين أصبحت في الخلف لهما جميعاً.

٢- إذا كان هذان الضميران مسبوقين بالياء التي هي نصف حركة، ظلت هاء الضمير مضمومة أيضاً، ولا تتحول إلى كسرة، وذلك كما هو في قراءة يعقوب للآيات الآتية:

يَرَوْنَهُم مِثْلَيْهِمْ رأي العْين[١٤]

وَضُرِبَتْ عَلَيْهُمُ الذِلَّةُ[١٥]

---

(١٤) آل عمران: ١٣.

(١٥) البقرة: ٦١.

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ[16]

وقد تميزت قراءة يعقوب بهذا المسلك أيضاً.

٣- إذا كانت الهاء في ضمير الغائبين مسبوقة بكسرة، وكان بعد الميم صوت ساكن (همزة وصل)، فإن قراءة يعقوب تجري أحكام المماثلة أولاً: على ضمة الهاء، فتقلبها إلى كسرة، لتماثل كسرة الصامت الذي قبلها، وثانياً: تكسر ميم الجمع[17]، وذلك كما في: "وأُشْرِبُوا في قُلوبِهِمِ العِجْلَ"[18]، و"بِهِمِ الأَرْضُ"[19]، و"أخذهِمِ الرّبا"[20] و"قولِهِمِ الإثمَ، وأكلِهِمِ السحت"[21]. فالمماثلة في هذا السياق تجري بتحويل الضمة إلى كسرة أولاً:

بِهُمُ ← بِهِمِ

ثم بتحويل همزة الوصل (وهي فتحة لأنها حركة خالصة من وجهة صوتية) إلى كسرة، لتماثل الكسرة السابقة، وهكذا:

بِهِمُ الأرض ← بِهِمِ الأرض ← بِهِمِ الأرض

القاعدة الثانية:

عند اجتماع همزتين حركة أولاهما خلفية، وحركة ثانيهما أمامية، تبدل الهمزة الثانية صوتاً انزلاقياً خلفياً.

التوضيح: كان العلماء يعبرون عن الظاهرة التي تحكمها هذه القاعدة بما ملخصه: "إذا اجتمعت الهمزتان في كلمتين، وكانت الأولى مضمومة، والثانية مفتوحة

---

(١٦) البقرة: ٢٤٦.

(١٧) محمد المحيسن. المهذب، ج١، ص٦٦.

(١٨) البقرة: ٩٣.

(١٩) النساء: ٤٢.

(٢٠) النساء: ١٦١.

(٢١) المائدة: ٦٣.

مثل (السفهاءُ ألا)، أو كانت الأولى مضمومة والثانية مكسورة كما في: "يا أيها الملأُ إني" أبدلت الهمزة الثانية واواً محضة عند رويس"[٢٢].

والذي يحدث في هذا النوع من المماثلة أن الهمزة الثانية تصبح صوتاً انزلاقياً (واواً كالتي في: مولد) لتماثل الضمة الأولى التي قبلها. والأمثلة على اجتماع الهمزتين على هذا النحو كثيرة، ومن جملتها "من يشاءُ إن، والسفهاءُ ألا". فرواية رويس تقلب الهمزة الثانية واواً. المعادلة (١) توضح هذا النوع من المماثلة.

المعادلة (١):

$$\text{ص} \begin{bmatrix} +\text{حنجري} \\ +\text{وقفي} \end{bmatrix} \leftarrow \begin{bmatrix} +\text{انزلاقي} \\ +\text{خلفي} \end{bmatrix} \; / \; \text{ح} \begin{bmatrix} +\text{خلفية} \\ +\text{ضيقة} \end{bmatrix} \text{—} \text{ح} \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{واسعة} \end{bmatrix}$$

"تحولت الهمزة (الصامت الحنجري الوقفي) إلى صوت انزلاقي خلفي، في موقع كانت فيه مسبوقة بالضمة (الحركة الخلفية الضيقة) ومتبوعة بالفتحة (الحركة الأمامية الواسعة).

ولا شك في أن رواية رويس في قلب الهمزة الثانية واواً منحى عربي سليم، قال سيبويه: "وإن كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة، وأردت أن تخفف، أبدلت مكانها واواً، وذلك قولك: .... غلامُ وَبيك، إذا أردت: غلام أبيك"[٢٣].

القاعدة الثالثة:

عند اجتماع همزتين، أولاهما أمامية ضيقة وثانيتهما أمامية واسعة، تبدل الثانية صوتاً انزلاقياً أمامياً.

التوضيح: تفسر هذه القاعدة تحول الهمزة الثانية، عند اجتماع همزتين في كلمتين متجاورتين، إلى ياء كتلك التي في (ميسرة)، وذلك كما في: "هؤلاءِ أهدى" إذ تصبح "هؤلاءِ يَهْدى" في رواية رويس. والمعادلة (٢) الآتية تمثل ذلك:

المعادلة (٢):

---

(٢٢) محمد بن الجزري. النشر في القراءات العشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص٣٨٦-٣٨٨.

(٢٣) سيبويه. الكتاب. تحقيق عبدالسلام هارون، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣)، ج٣، ص٥٤٣.

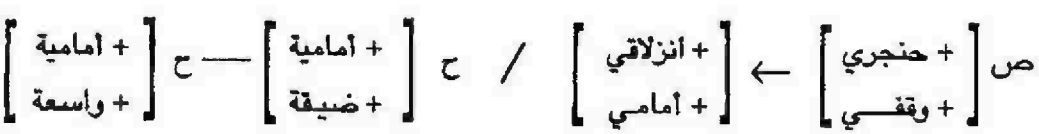

وهذا المنحى عربي سليم، قال سيبويه: واعلم أن كل همزة مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فأنت تبدل مكانها ياء في التخفيف ... ومن ذلك قولك: من غلامِ يَبيك، إذا أردت: من غلامِ أَبيك"[٢٤].

القاعدة الرابعة:

عند اجتماع همزتين في كلمتين متجاورتين حركناهما أماميتان، فإن الهمزة الثانية منهما تحذف تخفيفاً.

التوضيح: في حال اجتماع همزتين في كلمتين متجاورتين، مع كون حركتيهما أماميتين بأن تكون أولاهما فتحة، وثانيتهما كسرة، فإن الهمزة الثانية تسقط. وقد كان علماء القراءات وعلماء اللغة العرب يسمون إسقاط الهمزة في هذا السياق تسهيل "بين بين"[٢٥]. والحق أن الهمزة قد سقطت من هنا، ولم تسهل. وأما قول ابن الجزري: "وتسهيلها عندهم أن تجعل بين بين" وقوله: "وذهب بعضهم على أنها تجعل "بين بين" أي بين الهمزة والياء، وهو مذهب أئمة النحو كالخليل وسيبويه ومذهب جمهور القراء حديثاً"[٢٦]، فيدل على أن ما سموه همزة "بين بين"، هو في الحقيقة، حركة الهمزة التي تبقى بعد حذف الهمزة، إذاً فالهمزة هي التي تحذف في هذا السياق، وتبقى حركتها. والمعادلة (٣) تمثل ما يجري في هذا النوع من المماثلة:

المعادلة (٣) :

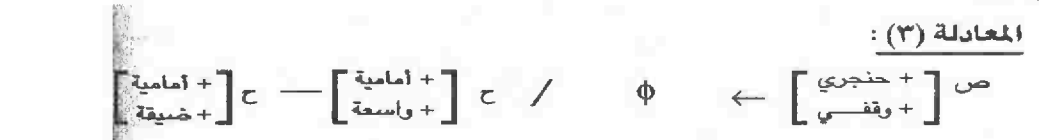

القاعدة الخامسة:

---

(٢٤) المرجع السابق، ص ٥٤٣.

(٢٥) ابن الجزري: النشر، ج١، ص ٣٨٨.

(٢٦) ابن الجزري، النشر، ج١، ص ٣٨٨.

عند اجتماع همزتين حركتاهما أماميتان، فالحذف لإحداهما.

التوضيح: ١. ذكر ابن الجزري أنه عند اجتماع همزتين مكسورتين كما في "هؤلاءِ إن"، فإن رويساً يقرأ بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية[٢٧]. ويرى بعض علماء القراءات أن لرويس وجهين، الأول: إسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر، والثاني: تسهيل الهمزة الثانية[٢٨]. وسنأخذ في هذا البحث بالقول الذي يسند إلى رويس هذين الوجهين وهما: (أ) إسقاط الهمزة الأولى. (ب) تسهيل الهمزة الثانية.

أما إسقاط الهمزة الأولى، فهو من الناحية الصوتية، أيسر الموقفين وأسهلهما نطقاً. ولكننا لا بد أن نبين هنا أن الذي حذف هو الهمزة الأولى وكسرتها معاً، لا الهمزة وحدها، وإنما لم يذكرها العلماء لأن الحركات في نظرهم تابعة للصوامت، وهو توجه غير صحيح من الناحية الصوتية. ونرى أن الهدف من مدّ كسرة الهمزة الثانية، بعد حذفه الهمزة الأولى وكسرتها، هو إثبات حقيقة الهمزة الثانية. أما القصر فيعني الاستغناء عن هذا الإثبات. ورواية المدّ والقصر تعني جواز الأخذ بأي واحد منهما، وفي رواية رويس.

وأما تسهيل الهمزة الثانية، فيمكن أن يظهر في الكتابة الصوتية:

hā? ulā ?i in ⟵ hā? ulā?i ?in

ومعنى ذلك أن الهمزة الثانية قد حذفت، بسبب كونها محصورة بين كسرتين، فهي مسبوقة بكسرة، ومتبوعة بكسرة، وهذا متمثل في المعادلة (٤) الآتية:

المعادلة (٤) :

$$\text{ص}\begin{bmatrix}+\text{حنجري}\\+\text{وقفي}\end{bmatrix} \leftarrow \phi \;/\; \text{ح} \begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{مغلقة}\end{bmatrix} \text{—} \text{ح} \begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{مغلقة}\end{bmatrix}$$

٢. إذا كانت الهمزتان مفتوحتين، فقد قرأ رويس بإسقاط الهمزة الأولى[٢٩]، ويكون ذلك على النحو الآتي:

---

(٢٧) المرجع السابق، ج١، ص٣٨٤.

(٢٨) محمد المحيسن، المهذب، ج١، ص٥٢. وانظر كذلك: أحمد بن الحسين الأصبهاني. المبسوط في القراءات العشر. تحقيق سبيع حمزة حاكمي، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠)، ص١٢٥.

(٢٩) محمد المحيسن، المرجع السابق، ص٥٩.

جاء أجلهم ← جا أجلهم.

تلقاء أصحاب النار تلقا أصحاب النار.

شاء أن يتخذ ← شا أن يتخذ

قال المبرد: "واعلم أنه ليس من كلامهم أن تلتقي الهمزتان فتحققا، إذ كانوا يحققون الواحدة. فهذا قول جميع النحويين إلا عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، فإنه كان يرى الجمع بين الهمزتين"(٣٠). وهذا القول ترديد لقول سيبويه: "فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا"(٣١). أما أنه ليس من كلام العرب فحسبنا في الرد عليه، وبيان عدم صحته قول سيبويه، وهو يتحدث عن اجتماع الهمزتين: "وأما الذين لا يخففون الهمزة فيحققونهما جميعاً"(٣٢). وعلى كل حال، فإن إسقاط الهمزة الأولى من هذا السياق، في رواية رويس، فيه توجه إلى التخفيف من إحدى الهمزتين. لكن هذا لا يعني أن إبقاءهما معاً ليس من اللسان العربي، كما هو واضح من كلام سيبويه والمبرد.

المطلب الثاني: المماثلة بين الصوامت

تكثر ظاهرة المماثلة في قراءة يعقوب. وأهم مظاهرها ما يأتي:

١- المماثلة في الجهر والهمس.

٢- المماثلة في الإطباق.

٣- الإدغام.

وهذه مناقشة لهذه المسائل:

١. المماثلة في الجهر والهمس:

أوضح مسألة في التماثل بين الأصوات المهموسة والمجهورة في قراءة يعقوب تحول الصوت المهموس إلى مجهور، كما هو واضح في القاعدة الآتية:

"قد يتحول الصوت المهموس إلى مجهور، لمجاورته صوتاً مجهوراً".

---

(٣٠) محمد بن يزيد المبرد. المقتضب. تحقيق عبدالخالق عضيمة، (بيروت، عالم الكتب، ١٩٦٣)، ج١، ص١٥٨.

(٣١) سيبويه. الكتاب. تحقيق عبدالسلام هارون، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣)، ج٣، ص٥٤٩.

(٣٢) المرجع السابق، ج٣، ص٥٥١.

وتتضح هذه القاعدة إذا عرفنا أن رويساً يُشِمّ الصاد زايا في "أصدق، ويصدر، و"فاصدع"، أي أنه ينطقها زاياً مفخمة. ويمكن تمثيل هذا التغير الصوتي بالمعادلة (٥)، وهي الآتية:

المعادلة (٥) :

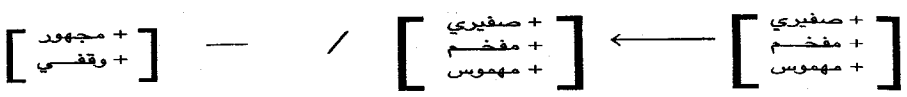

٢. المماثلة في الإطباق:

روى عن روح أنه قرأ السين في (يبسط) بالصاد[٣٣]، وذلك على سبيل المماثلة الرجعية غير المباشرة، لوجود فاصل بينهما (الضمة). ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة (٦) الآتية:

المعادلة (٦) :

[– مطبق] ← [+ مطبق] / ـــ [+ مطبق]

---

٣. الإدغام:

يكثر الإدغام في قراءات البصريين جميعاً، سواء أكانت من القراءات السبع أم من العشر أم من الأربع عشرة، وقد عرّف القراء واللغويون الإدغام بأنه دمج صوت في صوت آخر مماثل أو مقارب له. أما دمج صوت في صوت مماثل فمنه: (فيه هدى، يشفع عنده، قال له، شهر رمضان، الكتاب بالحق، جاوزه هو، ثالث ثلاثة). وكل الذي حدث من الناحية الصوتية هو أن الحركة قد حذفت من بين الصامتين المتماثلين، وبقي مع ذلك لكل واحد من هذين الصوتين كينونة منطوقة. وهذا النوع من الإدغام يتم تمثيله بالمعادلة (٧) الآتية:

المعادلة (٧)

---

(٣٣) عبدالفتاح القاضي. البدور الزاهرة، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨١)، ص٥٢.

وقد يكون الإدغام في قراءة يعقوب بين صوتين متقاربين في المخرج، مع كونهما مختلفين في ملمح أو أكثر، وذلك مثل (خلقكم)، ومثل "فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً"[٣٤]، فالكاف تدغم في القاف في هذين الموطنين، أي عندما تكون الكاف سابقة للقاف أو لاحقة لها. وهذا يتم تمثيله بالمعادلة (٨) الآتية:

المعادلة (٨) :

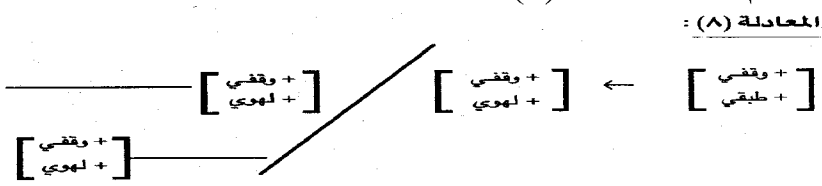

وهذا الإدغام مما لا خلاف على فصاحته، قال المبرد: "تدغم القاف في الكاف، والقاف أدنى حروف الضم إلى الحلق، والكاف تليها، وذلك قولك: الحكّلدة، تريد: الحق كلدة، فتدغم لقرب المخرجين، والإدغام أحسن، لأن الكاف أدنى إلى سائر حروف الضم من القاف، وهي مهموسة، والبيان حسن. وتدغم الكاف فيها، والبيان أحسن، لأن القاف أدنى إلى حروف الحلق، وهو قولك "انهقّطنا، تريد: انهك قطنا. البيان حسن، والإدغام حسن"[٣٥].

وأدغم يعقوب اللام في الراء[٣٦]، كما في: "أَرْسَلَ رَسُولَهُ"[٣٧] و"بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم"[٣٨]، وأدغم النون في الراء كما في: "خَزَائِنُ رَبِّكَ"[٣٩]، والمعادلة (٩) تمثل ذلك:

المعادلة (٩) :

$$\begin{Bmatrix} ن \\ ل \end{Bmatrix} \longrightarrow ر \,/\, __ \quad \# \quad ر$$

وفي قراءة يعقوب تدغم الراء في اللام[٤٠]، كما في: "من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا[٤١]. ومن العجيب أن بعض النحاة لا يجيزون إدغام الراء في اللام، قال المبرد: "وتدغم اللام والنون في الراء، ولا تدغم الراء في واحدة منهما، لأن فيه

(٣٤) البقرة: ١٤٤.

(٣٥) المبرد، المقتضب. ج١، ص٢٠٩.

(٣٦) محمد المحيسن. المهذب، ج١، ص٢٧٦، ج٢، ص٤٥٠، ٣٣٠.

(٣٧) التوبة: ٣٣.

(٣٨) المطففين: ١٤.

(٣٩) الطور: ٣٧.

(٤٠) محمد المحيسن، المهذب، ج١، ص١٠٧.

(٤١) البقرة: ٢٦٦.

تكراراً فيذهب التكرير"[٤٢]. والحق أن إذهاب التكرير في ذاته ليس مسوغاً لرفض إدغام الراء في اللام والنون، وإلا لكان معنى ذلك أن العرب إنما نطقت الراء من أجل التكرير. فإذا كان كل صوت مدغم يخسر كثيراً من خصائصه وملامحه، بل قد يخسرها كلها، فما هذا التكرير الذي يتأبى على الإدغام ؟ يقول ابن عصفور: "روى عن الفراء أنه قال: "كان أبو عمرو بن العلاء يروي عن العرب إدغام الراء في اللام، وقد أجازه الكسائي أيضاً، وله وُجَيْهٌ من القياس، وهو أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاماً، ولفظ اللام أسهل من الراء لعدم التكرار فيها، وإذا لم تدغم الراء كان في ذلك ثقل، لأن الراء فيها تكرار، فكأنها راءان، واللام قريبة من الراء، فتصير كأنك قد أتيت بثلاثة أحرف من جنس واحد" [٤٣].

وفي قراءة يعقوب تدغم الدال في كل من: التاء، والجيم، والظاء، والذال، والصاد[٤٤]، وذلك كما في: (المساجد تلك، داود جالوت، يريد ظلماً، ومن بعد ظلمه، والسجود ذلك، ومقعد صدق)، والمعادلة (١٠) تمثل ذلك:

المعادلة (١٠) :

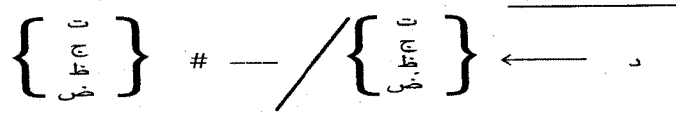

وتدغم التاء في السين كما في "الصالحات سندخلهم" والثاء كما في: "البيّنات ثم"، والجيم كما في: "والمؤمنات جنات" والذال كما في: "والذاريات ذروا"[٤٥]، والمعادلة (١١) تمثل ذلك:

المعادلة (١١) :

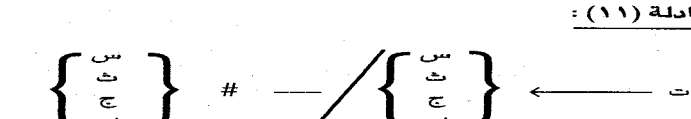

وأدغم يعقوب الثاء في الذال كما في: "والحرث ذلك" وفي السين، كما في: "حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ"[٤٦] و"مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً"[٤٧]. والمعادلة (١٢) تمثل ذلك:

---

(٤٢) المبرد، المقتضب، ج١، ص٢١٢.

(٤٣) ابن عصفور. الممتع في التصريف. تحقيق د. فخر الدين قباوة، (حلب: المكتبة العربية، ١٩٧٠).

(٤٤) محمد المحيسن. المهذب، ج١، ص ص ٨٥، ٩٩- ١٠٠، ج٢: ٣٢٢.

(٤٥) الذاريات: ١.

(٤٦) الطلاق: ٦.

(٤٧) المعارج: ٤٣.

المعادلة (١٢) :

$$\text{ث} \quad \leftarrow \quad \begin{Bmatrix} \text{ذ} \\ \text{س} \end{Bmatrix} / __ \quad \# \quad \begin{Bmatrix} \text{ذ} \\ \text{س} \end{Bmatrix}$$

وقرأ يعقوب بإدغام في: "من قبل أن يأتي يوم[٤٨]"، أي أنه أدغم الياء نصف الحركة في الكلمة الأولى، بالياء نصف الحركة أيضاً في الكلمة الثانية. ومع أن هذه القراءة كان يمكن أن تكون مصدراً لقاعدة في الإدغام في كتب النحو، فقد ذهب ابن عصفور إلى خلاف ذلك، فقال: "فإن كانا معتلين فلا يخلو من أن يكون الأول منهما ساكناً أو متحركاً. فإن كان ساكناً فلا يخلو من أن يكون حرف لين أو حرف مدّ ولين، فإن كان حرف لين أدغمت، إذ لا مانع من الإدغام نحو: أخشى ياسراً. واخشوا واقداً. وإن كان حرف مدّ ولين لم تدغم نحو: يغزو واقد، واضربي ياسراً، لئلا يذهب المد بالإدغام مع ضعف الإدغام في الكلمتين"[٤٩].

هذا، وقد أدغم يعقوب الحاء في العين إذا تعاقبا في موطن الإدغام، وذلك مثل: "زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ"[٥٠]، فقد قرأها بإدغام الحاء في العين[٥١]، ولكنه لم يدغم الحاء في العين في قوله تعالى: "فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا"[٥٢]، ومن الغريب أن ابن عصفور يقول: "وأما العين إذا اجتمعت مع الحاء، فلا يخلو أن تتقدم أو تتقدم الحاء، فإن تقدمت كنت في الخيار، إن شئت أدغمت فقلبت العين حاء، وإن شئت لم تدغم نحو "اقطع حبلاً". وحسّن الإدغام هنا كونهما من مخرج واحد. وإن تقدمت الحاء بيّنت ولم تدغمها في العين، لأن العين أدخل في الحلق، ولا يقلب الأخرج إلى الأدخل لما تقدم. وأيضاً فإن اجتماع العينين ثقيل كما تقدم. فإن أردت الإدغام قلبت العين حاء، وأدغمت الخاء في الحاء، لأنه قد تقدم أن الثاني قد يقلب إذا تعذر قلب الأول"[٥٣].

---

(٤٨) البقرة: ٢٥٤.
(٤٩) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ص٦٥٢- ٦٥٣.
(٥٠) آل عمران: ١٨٥.
(٥١) محمد المحيسن، المهذب، ج١، ١٤٧.
(٥٢) النساء: ١٢٨.
(٥٣) ابن عصفور، الممتع، ج٢، ص ص٦٨٢- ٦٨٣.

المطلب الثالث: تغيرات البنية المقطعية

سنبين هنا الأثر الذي يحدثه الوقف في البنية المقطعية في قراءة يعقوب، والأثر الذي يحدثه تحريك عين الكلمة في تغيير البنية المقطعية كذلك، وبعض المظاهر التي تؤدي إلى تغيير بنية المقاطع.

١. **الوصل والوقف:** تتغير البنية المقطعية في قراءة يعقوب بصورة واضحة وصلاً أو وقفاً. من ذلك مثلاً أن الياء في (عهدي) من قوله تعالى: "لا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ"(٥٤)، تكون مفتوحة في الوصل، ولكنها عند الوقف تسقط الفتحة عنها، وينجم عن هذا التغير الآتي في البنية المقطعية.

في الوصل	في الوقف
عهديَ الظالمين	عهدي
عَهْـ/دِ/يَـ (ظ)	عهـ / دي

والفرق بين البنية المقطعية للكلمة في الحالة الأولى وبنيتها في الحالة الثانية فرق واضح، فالمقطع الأخير في حال الوصل متصلة بنيته في مطلع الكلمة التي بعد كلمة (عهدي). والمقطع الأخير في الكلمة الثانية منفصل عما بعده، وهو مقطع طويل مفتوح. والتغيير الذي يجريه الوقف على المقطع الأخير هو أنه يسقط الفتحة التي لا تسقط عن الياء في حال الوصل.

وهذا الذي يجري على ياء (عهدي) في "لا ينال عهدي الظالمين" لا يجري على ياء (بيتي) في الآية: "وَطَهِّر بَيْتِي لِلطَّآئِفِينَ"(٥٥)، فقد قرأها يعقوب بتسكين الياء. وهذا دليل على الاختيار الذي هو أصل من أصول القراءات جميعاً.

٢. **حركة عين الكلمة:** تختلف حركة عين بعض الكلمات في قراءة يعقوب عن حركتها في قراءات أخرى، فكلمة "السّحت" في الآية "وأَكْلِهِمُ السُّحْتَ"(٥٦) مضمومة الحاء في قراءة يعقوب. وكذلك الشأن في كلمة (الرعب)، فإن يعقوب يقرؤها بضم العين.

---

(٥٤) البقرة: ١٢٤.

(٥٥) الحج: ٢٦.

(٥٦) المائدة: ٦٢.

ولا شك في أن (الرعُب) و(السحُت) استعمالان فصيحان من الاستعمالات اللغوية التي كانت موجودة في بعض اللهجات العربية الفصيحة. وزيادة الضمة في هذا الموطن هي من قبيل المماثلة بين الصوامت والصوائت. فالحاء والعين صوتان حلقيان، أي أنهما صوتان خلفيان، وزيادة الضمة بعدهما (وهي صوت خلفي) يؤدي إلى وجود تماثل بين هذين الصوتين والضمة. والمعادلة (١٣) التالية تمثل ذلك:

المعادلة (١٣):

$$\phi \leftarrow \text{ح [+ خلفية] / ص [+ خلفي]} \text{ ــــــ}$$

ولكن هذه القراءة التي تزيد الضمة للصوت الخلفي عندما يكون عيناً للكلمة، تحذف ضمة عين بعض الكلمات، إذا كانت العين صوتاً أمامياً، وذلك كما في (كفؤاً)، فقد قرئت بإسكان الفاء لا ضمها. وهنا يحسن أن نتنبه إلى أن قراءة يعقوب متناسقة تماماً مع القوانين الصوتية. وهذا واضح من زيادة الضمة لعين الكلمة، إذا كانت العين صوتاً خلفياً، ومن حذف ضمة عين الكلمة، إذا كانت العين صوتاً أمامياً. ويمكن تمثيل حذف حركة عين الكلمة إذا كانت أمامية بالمعادلة (١٤) التالية:

المعادلة (١٤):

$$\text{ح [+ خلفية]} \leftarrow \phi \text{ / ص [+ أمامي]} \text{ ــــــ}$$

٣. يقرأ يعقوب بضم الواو في "أَوُ انقصُ مِنْهُ"[٥٧] ونون (أن) في "أَعْبُدُونِي"[٥٨] وما كان من بابهما. وهذا يتم أداؤه بالكسر في قراءات أخرى، وقد سمى علماء العربية هذا الكسر "كسر التقاء الساكنين". وهنا لا بد أن نلاحظ ما يأتي:

(أ) الأصل هو الضم في هاتين الآيتين، فالضمة هي في الحقيقة همزة الوصل التي في أول الكلمة اللاحقة: "أنقص" و"أعبدوني".

(ب) أصبحت هذه الضمة حركة للنون وصلاً، أي بوصل (انقص) بـ(أو)، وبوصل (اعبدوني) بـ(ان)، وهكذا:

أنْ أعبدوني ← أنُ عْبدوني

(ج) ينجم عن هذا تغيير في موقع النبر وتغيير في البنية المقطعية للكلام، هكذا:

أنْ أعبدوني ← أنُ عْبدوني

أنْ/أ عْ/بُ/دو/ني ← أ/نُ عْ/بُ/دو/ني

فالاختلاف في البنية المقطعية واضح بين المقطعين الأول والثاني في الصيغتين: الأصلية، وصيغة الوصل.

(د) ولكن الضم هذا ليس أصلاً دائماً، فقد تكون همزة الوصل مكسورة، كما في "أنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ"[٥٩]، فالكسرة هذه هي في الحقيقة همزة الوصل التي تلحق بالفعل (اصنع). فهذا يشبه قولك: "أنِ اسمع، وأنِ اعمل، وأوِ اذهب ... وهلم جرا".

(هـ) لكن الكسرة ستكون محولة من الضمة في قراءة من قرأ: "أوِ انقص" بكسر الواو، و"أنِ اعبدوني" بكسر النون.

(و) وعلى ذلك يتبين أن الكسر ليس واحداً في هذه الحالات جميعاً، فقد يكون أصلاً، وقد يكون محولاً من الضم.

---

(٥٧) المزمل: ٣.

(٥٨) يس: ٦١.

(٥٩) المؤمنون: ٢٧.

(ز) وفي كل الحالات، فإن الكسر أو الضم لم يقحما إقحاماً كما يظن الكثيرون، فلا الكسر لالتقاء الساكنين، ولا الضم كذلك، وإنما هما همزتا الوصل.

٤. **تقليل عدد المقاطع:** قرأ يعقوب بتسكين الراء في:

"وأرنا" من الآية: "وأرْنا مَنَاسِكَنَا"[٦٠]. أما بكسر الراء فالمقاطع ثلاثة هي: أ/ ر/نا، وبتسكينها فالمقاطع اثنان: أرْ/نا، ويظهر تقليل عدد من المقاطع في اختيار يعقوب قراءة "الرؤف" بدلاً من "رؤوف"، أي بصيغة (فعل) بدلاً من (فعول)[٦١].

ويظهر تقليل عدد المقاطع في حذف الفتحة بين تاءي (تتمارى) من قوله تعالى: "فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى"[٦٢] لتصبح الكلمة هكذا: "تَمارى". وقرأ يعقوب – برواية رُوَيْس-: "ثُمّ تَفَكَّرُوا"[٦٣] بحذف الفتحة التي بين التاءين وإدغامهما بعد ذلك[٦٤].

٥. **الوقف على تاء التأنيث:** قرأ يعقوب بتحويل تاء التأنيث في (لعنة) إلى هاء، في حال الوقف عليها، وهذه لهجة عربية، والوقف عليها بالتاء لهجة عربية أخرى، فقد ذكر السيوطي أن من اللهجات العربية ما يقف على تاء التأنيث بالتاء، ومنها ما يقف عليها بالهاء، أي بتحويلها إلى هاء، وذلك مثل: أمه، وأمت[٦٥]. في الواقع لم تختلف طبيعة المقطع في الكلمتين، ولكن اختلفت طبيعة مكوناته، فالمقطع الذي ينتهي بالهاء هو مقطع ينتهي بصوت استمراري، والذي ينتهي بالتاء ينتهي بصوت وقفي.

٦. **الإشباع والاختلاس:** قرأ يعقوب باختلاس الكسرة في "نوله ونصله"[٦٦]، وهذا أحد أساليب العربية في التعامل مع المقطع الأخير من الكلمة، فقد يكون المقطع طويلاً، وهذه هي حالة الإشباع، وقد يكون قصيراً وهذه هي حالة الاختلاس في "نوله ونصله"[٦٧].

---

(٦٠) البقرة: ١٢٨.

(٦١) محمد المحيسن. المهذب، ج١، ص٧٥.

(٦٢) النجم: ٥٥.

(٦٣) سبأ: ٤٦.

(٦٤) الأصبهاني. المبسوط في القراءات العشر، ص١٠٠.

(٦٥) عبدالرحمن السيوطي. المزهر. تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: البابي الحلبي، د.ت)، ج١، ص٢٥٦.

(٦٦) محمد المحيسن. المهذب، ج١، ص١٧٠.

(٦٧) السيوطي: المزهر، ج١، ص٢٥٦.

٧. **اطراد المقطع وصلاً وفصلاً:** على الرغم من أن يعقوب كان يميز بين حالي الوصل والفصل في بعض الحروف، فقد كان في حروف أخرى يحفظ للمقطع الأخير من الكلمة هيئة واحدة وصلاً وفصلاً، وذلك أنه كان عند الوقف على (اتبعوني، وأطيعوني، من اتبعني، المنادي، فارهبوني، فاتقوني، الداعي، إذا دعاني، فما تغني، ونذري ...) يبقي على الياء فلا يحذفها، شأنه في ذلك شأن إثباته لها في حال الوصل.

٨. **إغلاق المقطع القصير في الموقع الأخير من الكلمة:** في العربية وسائل كثيرة لإغلاق المقطع الأخير من الكلمة، بخاصة إذا كان هذا المقطع قصيراً مفتوحاً، من هذه الوسائل: التنوين، وإسقاط الحركة الإعرابية عند الوقف، والإدغام وهاء السكت.

وقراءة يعقوب تفردت بأنها تغلق المقطع القصير الأخير من الكلمة بهاء السكت باطراد، عند الوقف عليه، وذلك مثل:

هنّ	←	هُنَّهْ	لهنّ	←	لهنّه
باشروهنَّ	←	باشروهنَّهْ	بأنفسهن	←	بأنفسهنّه
وبعولتهنّ	←	وبعولتهنّهْ	كسوتهن	←	كسوتهنّه
عليهنّ	←	عليهنّهْ	وهو	←	وَهْوَه
رزقهنَّ	←	رزقهنّه	ما هي	←	ما هِيَهْ
فهي	←	فَهْيَه			

لكن يعقوب يحذف هاء السكت في الكلمات الآتية عند وصلها:

حسابيه- كتابيه- ماليه- سلطانيه، فقد كان يسقط الهاء من هذه الكلمات عند وصلها، وذلك بعكس من قرأ بإثباتها وقفاً ووصلاً.

وبذلك تكون قراءة يعقوب متناسقة تماماً في التعامل مع المسألة الواحدة؛ فهي تقف على المجموعتين المذكورتين من الكلمات بهاء السكت، وتسقط الهاء من المجموعتين في حال الوصل.

هذا في المقطع القصير في الموقع الأخير من هذه الكلمات. وقد أغلقت قراءة يعقوب المقطع الطويل في الموقع الأخير في مثل: يا ويلتي، فقد قرأها: يا ويلتاه.

المراجع

١- الأصبهاني، أحمد بن الحسين. المبسوط في القراءات العشر. تحقيق حمزة سبيع حاكمي، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠.

٢- ابن الجزري، محمد بن محمد. غاية النهاية في طبقات القراء. تحقيق: ج.برجستراسر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠.

٣- ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

٤- ابن خلكان، أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٩.

٥- الذهبي، محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٨.

٦- سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.

٧- السيوطي، عبدالرحمن. المزهر. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: البابي الحلبي، (د.ت).

٨- ابن عصفور الإشبيلي. الممتع في التصريف. تحقيق د. فخر الدين قباوة، حلب: المكتبة العربية، ١٩٧٠.

٩- ابن غلبون، طاهر. التذكرة في القراءات. تحقيق د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم، القاهرة: دار الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٠.

١٠- القاضي، عبدالفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨١.

١١- المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب. تحقيق عبدالخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب، ١٩٦٣.

١٢- المحيسن، محمد. المهذب في القراءات العشر، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨.